جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٩ —

حدثني ابي قال كان اولُ شيءٍ قلدته القضاءَ بعسكر مكرم وتستر وجنديسابور والسوس واعمال ذلك من قِبَل القاضي ابي جعفر احمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي وكنت في السنة الثانية (١) والثلاثين من عمري وذلك في شهور احدى عشرة وثلاثمائة لان مولدي في ذي الحجة من سنة ثمان وسبعين ومائتين فلما سلم اليَّ ابي جعفر العهد وصاني بتقوى الله عزَّ وجل وباشياء من امور العمل وسياسة في الدنيا والدين وبامر جاريه ينجزه من العامل هناك لانه كان مسبباً عليه فودعته ونهضت ·فقال اجلس فقدأنسيت مهماً فجلست فقال انك شاب وفضلك تام وعملك وافر وانك سترد على قوم فيهم شر وسيحسدونك على فضلك أو يطلبون معايبك اذا حكمت عليهم بالحق فلا يجدوا طريقاً الى الغض منك الا بنسبتك الى الحداثة وقلة حنكتها ولن تعدم منهم ذلك فان صدقت تحققوا ما يريدون والكذب لا يجوز فاياك

(١) الصواب : الثالثة ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان تخبر بسنك على حقيقتها ولكن اذا سئلت عنها فقل دون الاربعين سنة فلو كانت عشرين أو أقل لكنت صادقاً في فرعك الى الاربعين ستر (١) عليك لانها الاشد(٢) وحد المتكهل والخنكة فان بليت بمن يطول معك فيقول دون الاربعين بكم ؟ فقل لست اذكر وابق (٣) انك ليس تخبر ليقطع الخطاب (٤) ويقع للسائل انك تامن (٥) حقيقة سنك قال فخرجت . واتفق ان شعرة واحدة ابيضت في لحيتي في مسافة الطريق فلما دخلت الأهواز تعملت لاخراجها بالمشط الى حيث يلحقها النظر تجملاً بها واستقبلني محمد بن جعفر ابن معدان الشاهد وكان يخلف ابا جعفر على الوقوف وقد كاتبه باعظامي وتلقّي فجاءني بمركوب الى الشط وركبته الى دار اتخذت لي وكان يغشاني في كل يوم فلما أردت الخروج الى عملي قال لي قد هالني ما رأيته من فضل القاضي أيده الله فكم سنوه فذكرت وصية ابي (٦) فقلت دون الاربعين سنة فقال دونها بكم فقلت لست اذكر فلم يشك اني ناس لتحققها فأمسك عني وهذا ضد مانشاهده الآن . فاني قد رأيت ببغداد قاضيين هاشميين خطيبين شاهدين احدهما أجلّ وأنبه واليهما (٧) أعمال جليلة واحدهما قد تقلد من جهة الخليفة جلائل الاعمال ووهّل (٨) نفسه لقضاء القضاة وخطب ذلك فما تم له وهما يخضبان لحيتيهما ظاهراً بالسواد واحدهما ترك ذلك قبل موته بسنين وهو

(١) لعله : فزعك الى الاربعين ستراً عليك .

(٢) راجع كتاب الاضداد لمحمد بن بشار الانباري ص١٤٤ (طبع ليدن) .

(٣) لعله سقط : على . (٤) الاصل : الحصاب . (٥) كذا بالاصل : والصواب ناسٍ . (٦) الصواب : ابي جعفر . (٧) لعل الصواب : اليه (٨) يريد : أهّل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الادون محلاً والآخر باقٍ مقيم على الخضاب الى الآن ونسأل الله ستراً جميلاً فان الخضاب وان كانت فيه روايات فانما يعذر فيه الجند والكتاب ومن لا يتصدى للحكم والشهادة فاما من نصب نفسه فلا عذر له فيه .

* * *

حدثني ابو القاسم عبد الرحيم بن جعفر الفقيه المعروف بابن السماك السيرافي قال كنت بحضرة ابي بكر احمد بن علي بن شاهويه القاضي بارّجان فتقدم اليه نفسان ادّعى احدهما على الآخر الف درهم فسأله فأنكر فقال المدعي لك بينة فقال لا ولكن استحلفه لي فقال للمدعى عليه أتحلف ؟ قال فقد كان قدمني الى القاضي الذي كان قبلك واستحلفني له على هذه الدراهم فقال المدعي ماتقول فقال نعم قد كان حلف لي كاذباً فقال انصرف فلا مطالبة لك عليه فانصرفا ثم التفت اليّ والى ابي الوعد الفقيه على مذهبنا وجماعة من الفقهاء كانوا قعوداً يعني مذهب ابي حنيفة (١) والجماعة حنفيون فقال أرأيتم ان ادعى هذا المدعي الألف انه قد حلفني (٢) المدعى عليه واني ماحلفته وأردنا ان نعرض اليمين عليه فذكر انه قد حلف على هذا المعنى ولم يزل ذلك يتردد بينهما في دعوى كل واحد على صاحبه كيف نفصل الحكم بينهما؟ قال ففكرنا جميعاً ساعة ثم جرى خوض لم يتقرر له معنى ولم يتضح لنا وجه الفتوى فقلت له ان رأى القاضي ان يذكر ماعنده فقال : حكى لنا القاضي ابو طاهر الدباس عن

(١) الصواب : على مذهبنا يعني مذهب ابي حنيفة وجماعة من الفقهاء الخ .

(٢) كذا بالاصل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابي حازم القاضي في هذه المسألة بعينها انه قال : للحاكم ان يستحلف الذي ادعيتْ عليه الالف في الابتداء ان هذا المدعي عليك الالف درهم لم يستحلفك عليها عند حاكم آخر ٠

* * *

سئل بعض غلمان ابي الحسن الكرخي عن الدليل على تحليل النبيذ التمري المعمول بالداذي الشديد المسكر فقال قد وجدت الله تعالى لما وعدنا بالجنة ووصفها لنا أباح لنا في الدنيا من جنس ماوعدنا به فيها وحلل لنا تأويلها (١) لنعرف بذلك فضل ماوعدنا به في الجنة ودوام ذلك وانقطاع هذا فلما وعدنا بالخمر في الجنة وقد حرمها علينا في الدنيا ولا طريق الى علم (٢) لنحرص على الاعمال التي توجب دخول الجنة وشربها فيها فوجب ان يبيح لنا في الدنيا شيئاً من جنسها كهذا نستدل به على طيبها فكان النبيذ ٠

وكان قد سئل عن مثل هذا مرة أخرى فقال : ان الله تعالى خلق المنشور الذي ليس بخيّري (٣) ٠ والله لا يخلق ما لا فائدة فيه وليس فيما عدا الخيري من المنشور فائدة الا ان يشرب عليه النبيذ وكان يخرج هذا القول مخرج الجدل لمن يستضعفه ومخرج النزول (٤) مع أهل العلم ٠ وأصحاب الحديث والحفاظ يقولون انه لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث في تحريم النبيذ ولا في تحليله فذهب ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي في

(١) لم أجد لهذه الكلمة معنىً مناسباً ٠ (٢) لعله سقط : فضلها ٠
(٣) الخيّري هو المنشور الاصفر ٠ (٤) لعله الهزل ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مسألة أملاها في تحليل النبيذ مشهورة الى ان الاصل في الاشياء انها على الإباحة الى ان يثبت حظرها فلما كان العقل لا يدل على تحريم النبيذ ولم ينقطع العذر عن تحريمه(١) وجب ان يكون على الاصل في الإباحة ثم نصر ذلك باشياء أوردها واعترض أدلّة المحرّمين له وبيّن فسادها وأورد زيادات على نفسه وانفصل عنها بما يطول شرحه ويخرج عما نحن فيه ان أوردناه ٠

* * *

حضرت مجلس ابي محمد المهلبي و كانت العامة ببغداد قد هاجت في بعض ايام وزارته وعظمت الفتنة وقبض على جماعة من العيارين وحملة السكاكين وجعلهم في زوارق مطبقة وحملهم الى بيروذ وحبسهم هناك فاستهانوا بالقصة وكشف أمرهم و كثر كلام القصّاص في الجوامع ورؤساء الصوفية فخاف على تجديد الفتنة فقبض على خلق منهم وحبسهم وأحضر ابا السائب القاضي(٢) القضاة اذذاك وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء و كنت فيهم لمناظرتهم وأصحاب الشرط لنأمن مضرتهم اذا قامت الحجج عليهم فاتفق ان بديء برجل من رؤساء الصوفية يعرف بابي اسحاق بن ثابت ينزل بباب الشام احد الربانين(٣) عند اصحابه فقال له بلغني انك تقول في دعائك « يا واحدي بالتحقيق ياجاري اللصيق» فمن لا يعلم ان الله لا يجوز (ان) يوصف بانه لصيق على الحقيقة (فمن وصفه بذلك) فهو كافر لان الملاصقة من صفات الاجسام

(١) لعله : تحليله ٠ (٢) كذا بالاصل ٠
(٣) الصواب : الربانيين ٠ وليراجع كشف المحجوب للهجويري ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن جعل الله جسماً كفر فمن يكون محله في العلم هذا يتكلم على الناس وقل لي مامعنى مابلغني عنك انك تقول في جملة كلامك « أخذتني مني ولم تبقني عليّ فها انا بلا انا » حصلنا على انكم تهذوا (١) وتوهموا الناس على انكم ربانين وتستدعونهم بالجهالات الى الضلالات وتفتنون حضرة السلطان عليه . السياطَ يا غلام ، فلم يزل يسأل في أمره حتى كفّ عنه و كتب عليه ان لا يتكلم على الناس ولا يحلق حلقة .

* * *

كان يجيء بالبصرة الى معلمي معلم يكنى ابا الحسن و كنى نفسه بابي البيان فسمعت معلمي يعاتبه على ذلك ويقول ياهذا غيرت كنيتك وهي مقبولة و كنية امير المؤمنين؟ فقال له ياباجعفر كم رأيتَ في عمرك من كنيته ابو الحسن؟ قال لاأحصي، قال فهل رأيت ابا البيان غيري (قال لا) ، قال خذ بيدك هذه واحدة من فضائلها ، ومن ذلك اني اشتهر بها ولا أُشارَك فيها ، ومن فضائلها يسقط عني التلقيب وان يشتغل الناس بها عما سوى ذلك من عيوبي .

ورأيته يوماً عند معلمي في مكتبي وقد حضر وقتاً كان المعلم يأخذ علينا (٢) الشعر و كان عادته ان يقيم الصبيان صفاً فيطالبهم بانشاد القصيدة فأقامهم في تلك العشية وقد حضر ابو البيان فقال له ياباجعفر ماهذا القريض؟ قال و كيف؟ قال ان لي عادة في سياسة الصبيان لاأُرخص لهم فيها . ان سألتني

(١) يظهر ان الوزير كلهم بلغة العامة ولذلك لم نغير شيئاً من كلامه .
(٢) لعله سقط : فيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

علمتك إياها فقال افعل قال تقدّم الى صبيانك يمتثلوا أمري لأريك ذلك فقال لهم ابوجعفر انظروا مايأمركم به ابوالبيان فافعلوه · فأقبل عليهم يخاطبهم في كلامه فقال: لكم أقول أيها الصبيان · ولمن يجاوركم من الغلمان · الى حدود الأحداث والفتيان · اسمعوا وعوا فمن خالف بعد البرهان · أنزلت به غليظ الامتحان · تراصّوا في صفوفكم · والزقوا أقدامكم وأقيموا ألواحكم · واقبلوا عليّ بالحاظكم · واحضروا فيما تنشدون قلوبكم · وارفعوا أصواتكم · وقولوا قول صبي واحد :

(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلي)

وصاح بالشعر مطرّبًا فما ملك الصبيان الضحك وضحك معلمي معهم فقال ياباجعفر التراب والجندل بفيك وعلى رأسك والويل والويح محيطان بك أتطمع ان تعلمهم بهذه الهيبة ؟ حقت بك اللعنة والخيبة · أسبابك أفسدت · أمن قدري بضحكك وضعت ؟ ام سِتْرَك عند هؤلاء الانكاد هتكت ؟ اشهد الله لا أكلمك او تعتذر · وأخذ ابوجعفر يداريه ويعتذر اليه حتى رضي لوقته وكان يقول الشعر وينشده اباجعفر دائمًا وما حفظت منه شيئًا ولولا ان هذه الألفاظ تعاودناها في المكتب ونحن صبيان لم تعلق بحفظي فلما ترعرعت كتبتها في موضع وانسيتها ثم نقلتها منه الى هذا الموضع وبقيت عندي الى الآن ·

وسمعت وانا في الكتّاب انه جاء الى معلمي فاسلم اليه ابنه فقال له لِمَ نقلته من عند المعلم الاول ؟ قال لانني جزت به يومًا والصبيان يتشاتمون وهو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لايمنعهم باكثر من ان يقول قيدوا الفاظكم خزى الله حرماتكم لاتتشاتمون يابني البُظر واذا هو ليس يمنعهم من سوء الأدب ويدخل في جملة المشتومين فنقلته .

* * *

حدثني عبد الله بن عمر بن الحارث قال كان ابي يكتب الى (١) الرُقى على اصل وقع اليه في ذلك و كان مما يكتبه رقية للمرأة اذا خافت ان تسقط ولدها وتعلّق في وسطها فلا تسقط . قال وجربنا عليه ذلك على طول السنين فلم يخطئ . يكتب بسم الله الرحمن الرحيم (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا الآية) (وما قدروا الله حق قدره الآية) (ونفخ في الصور فصعق من في السموات والارض الا من شاء الله الى آخر السورة) (ومثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ الآية) قال و كان يكتب رقية الآبق ما رأيتها أخلفت وهي ان تأخذ رقًا فتكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم : (وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه — الى ننجي المؤمنين . أو كظلماتٍ في بحرٍ لجّيٍّ يغشاه موج الى آخر قوله تعالى فما له من نور . فساهم فكان من المدحضين . فالتقمه الحوتُ وهو مليم) أدركه بآيات الله يرده رب السماوات والارض فاجعل مابينهما أضيق على فلان — يعني الآبق — من مسك حمل حتى نمكن منه فانه من فضلك وعطائك . ويدفن الرق في عتبة باب . قال و كان يكتب للرعاف في ورقة ويعلقه على جبهة المرعوف . بسم الله الرحمن الرحيم : (وقيل

(١) لعله : آي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يا أَرض ابلعي ماءَكِ ويا سماءُ أَقلعي) الى قوله تعالى : (للقوم الظالمين . واذا ذكرتَ ربك في القرآن وحدَهُ ولَّوا على أَدبارهم نفوراً) وكان يكتب للخُراج على ورقة سلق وتوضع على الخُراج (ما أَصابك من حسنة فمن الله الآية) .

« للبحث صلة »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net